المعاني التربوية في سورة الأنفال

إبراهيم عمر صالح *

المستخلص:

هذه الدراسة عبارة عن تناول للمعاني التربوية من خلال سورة الأنفال؛ لما فيها من الدلالات والمعاني التربوية التي تحتاجها الأُمة بشدَّة، وذلك للإفتقار الشديد الذي تعاني منه في جانب التربية بشقيها (الحسي والمعنوي). وتبدو مشكلة هذه الدراسة في بُعد الأُمة الإسلامية عن الله وإهمال تزكية النفوس وموالاة المؤمنين لغيرهم وعدم تتبع السنن الكونية والتشرذم والتفرق الذي أصبح سمة بارزة بين أفراد الأُمة الإسلامية، وشعوبها، والإقتتال فيما بينهم لأتفه الأسباب. وقد قُسِّمت هذه الدراسة إلى محورين جاء في الأول: التعريف بالسورة من حيث التسمية والترتيب وبعض الملامح العامة في السورة، والثاني: المعاني التربوية في السورة كتزكية النفس والصبر والشجاعة والولاء والبراء وغيرها. وخُتمت هذه الدراسة بأهم النتائج والتوصيات.

Abstract

This study studied the educational conceptions in surat-Al-Anfal that Islamic nation strongly needed as Muslims are suffering from decrease of non perceptional and moral education. The study is concerned to the Islamic nations being away from Allah (God) and their negligence in heart purification and their support to non believers, the disunion that became the noticeable feature between the Islamic nations and their citizens. The study was divided into two points: The first one concerned about the definition, the name, the arrangement and some general views of the surat. The second point concerned about the conception of the education in the surat like a heart purification, patience, courage, and loyalty ect

الكلمات مفتاحية:

تزكية النفس _ الصبر والمصابرة - تقوى الله.

*طالب ماجستير- جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا- هاتف:٠١٢٢٨٨٤١٨٧

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

مقدمة:

الحمد لله الكريم الوهاب، هازم الأحزاب، ومنشئ السحاب، ومرسل الهباب، ومنزل الكتاب، في حوادث مختلفة الأسباب، أنزله مُفَرَّقاً نُجُوماً، وأَوْدَعَهَ أحكاماً وعلوماً، قال عزَّ وجلَّ: L 4 3 2 1 0 / . - , M[1] وأُصلي وأُسلم على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه الكرام.

وبعد...فمن خلال الدراسة سيتناول الباحث _بإذن الله_ سورة الأنفال معرِّفاً: بسبب تسميتها بالأنفال ومعنى الأنفال، وموضوع السورة إجمالاً. الجدير بالذِّكر أن سورة الأنفال اهتمت كثيراً بغزوة بدر وما جرى فيها من أحداث قبل وأثناء وبعد المعركة، حيث تناولتها بإطناب. وقد ركز الباحث في هذة الدراسة على المعاني التربوية فيها نحو: تزكية النفس، الصبر والمصابرة، الشجاعة الإقدام، والوحدة وعدم التنازع، تقوى الله تعالى، واللجوء إليه في كل الأحوال، وموالاة المؤمنين بعضهم لبعض والتبرؤ من غيرهم.

أهمية البحث: تكمن أهمية الدراسة لسورة الأنفال في الوقوف على ما وقع فيها من أحداث مرت بالنبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام. والإستفادة مما فيها من دروس ومعانٍ تربوية، وقد ذكرها المولى جلَّ وعلا للإعتبار بها وتزكية النفوس؛ لأن تلك الأحداث لا تقتصر على ذلك الزمان فحسب وإنما تتكرر.

الدراسات سابقة: لم يطلع الباحث على دراسة على شاكلة عنوان هذه الدراسة، إلَّا أنه من المعلوم أن سورة الأنفال تناولتها معظم كتب التفسير بالشرح والتحليل. ولكن عمد الباحث في هذه الدراسة على التركيز الموضوعي للمعاني التربوية في السورة لما لها من أهمية قصوى.

أهداف البحث: تهدف هذه الدراسة إلى: التعريف بسورة الأنفال والوقوف على موضوعها، وبيان إهتمام السورة بتزكية النفوس والعمل على تطهيرها، كما تهدف إلى إيضاح أهمية الولاء والبراء وعدم التنازع والعمل على تتبع السنن الربانية، إضافة إلى بيان أهمية تقوى الله واللجوء إليه، والتربية وفق منهجه تعالى في كتابه الكريم.

(١) سورة الإسراء الآية (١٠٦).

المحور الأول: التعريف بسورة الأنفال

معنى الأنفال:

النفل في اللغة: هو "عطية التَّطوع من حيث لا تجب، ومنه نافلة الصلاة "[٢]، قال تعالى R Q P O N M M L X W V U T S[٣]. أي: (عبادة زائدة لك على الصلوات الخمس. وضع نافلة موضع تهجداً؛ لأن التَّهجد عبادة زائدة فكأن التَّهجد والنَّافلة يجمعهما معنىً واحد، والمعنى أن التَّهجد زيد لك على الصلوات المفروضة فريضة عليك خاصة دون غيرك، لأنه تطوع لهم)[٤].

ويقول ابن عطية[٥]: (سُمِّيت الغنيمة نفلاً لأنها زيادة على القيام بالجهاد وحماية الدين والدعاء إلى الله عزَّ وجلَّ، قال الشاعر:إنَّ تَقْوى ربِّنا خَيْرُ نَفَلْ [٦]، أي: خير غنيمة)[٧]. وقول عنترة[٨]:

يُخْبِرْك مَنْ شَهِد الوَقِيعةَ أَنَّني
أَغْشَى الوَغَى وأعِفُّ عند المَغْنَم [٩].

النَّفل في الإصطلاح: عرفه الشريف الجرجاني[١٠] بأنه: (اسم لما شرع زيادة على الفرائض والواجبات وهو المسمَّى بالمندوب والمستحب والتَّطوع)[١١].

(٢) الجوهري، إسماعيل بن حماد،(١٩٩٠م.) الصِّحاح في اللغة، ط٦ دار العلم للملايين، ص١١١.

(٣) سورة الإسراء، الآية: (٧٩).

(٤) الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر ،الكشاف، ط٢ ، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ص٦٤.

(٥) ابن عطية: هو عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن عطية المحاربي، من محارب قيس، الغرناطي، (٤٨١ - ٥٤٢هـ) مفسر فقيه، أندلسي، من أهل غرناطة. عارف بالأحكام والحديث، له شعر. ولي قضاء المرية، وكان يكثر الغزوات في جيوش الملثمين. وتوفي بلورقة. من مصنفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز في عشر مجلدات، وله في خزانة الرباط في ذكر مروياته وأسماء شيوخه. وقيل في تاريخ وفاته سنة ٥٤١ و ٥٤٦ ه. أنظر: كتاب الأعلام، للزركلي: (٢٨٢/٣).

(٦) الاصفهاني، ابي الفرج ، الأغاني،ج١٥،ط٢، تحقيق: سمير جابر دار الفكر، بيروت. ص٣٦١.

(٧) ابن عطية ، (١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م)المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق:عبد السلام عبد الشافي محمد،ج٣، ط١،دار الكتب العلمية، لبنان، ص١٤٤.

(٨) هو: عنترة بن شداد بن عمرو بن معاوية بن قراد العبسي.أشهر فرسان العرب في الجاهلية ومن شعراء الطبقة الأولى. من أهل نجد. أمه حبشية اسمها زبيبة، وكان من أحسن العرب شيمة ومن أعزهم نفساً، يوصف بالحلم على شدة بطشه،وشهد حرب داحس والغبراء، مات قبل الهجرة بستمائة وخمسة عشر سنة انظر: هدية العارفين: (٤٢٦/١).

(٩) الأغاني، لأبي الفرج الأصفهاني، مرجع سابق.ج٩،ص٢٥٤

(١٠) هو: علي بن السيد محمد بن علي الجرجاني، الشهير بالسيد الشريف العلامة المحقق الحنفي، ولد بجرجان سنة ٧٤٠هـ، وتوفي بشيراز سنة ٨١٦ه ست عشرة وثمانمائة. له من التصانيف: الأجوبة لأسئلة الإسكندر من ملوك تبريز. الإشارات والتنبيهات. تعريفات السيد. تعليقة على عوارف المعارف للسهروردي. تفسير الزهراوين. حاشية على المطول للتفتازاني

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

فالتَّطوع والمندوب والمستحب كل ذلك زيادة على ما فرضه الله تعالى على عباده المؤمنين، وكذلك كانت الأنفال (الغنائم) زيادة منه جلَّ وعلا على تأييده للمؤمنين ونصره لهم، وكذلك كانت _الأنفال_ زيادة لهذه الأُمة دون غيرها من الأُمم، ويدل على ذلك حديث النبي _صلى الله عليه وسلم_: (أُعطيتُ خَمْساً لم يُعْطهُنَّ نَبيٌّ قبلي: أُحلت لي الغنائم، ولم تُحل لنبي قبلي....)[١٢].

سبب تسميتها بـ[الأنفال]:

يقول وهبة الزحيلي في تفسيره: (لسؤال الناس عن أحكامها، والمراد بها الغنائم الحربية)[١٣].

ويرى الباحث أنها سُمِّيت بهذا الاسم؛ لورود كلمة الأنفال فيها، وهي تعني الغنائم كما جاء آنفاً، وكـــان المسلمون قد اختلفوا في كيفية توزيع الغنائم إِثْرَ النَّصر الذي حققوه على عدو الله وعدوهم، "وقد ساءت أخلاقهم كما رُوي عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه"[١٤] _كما سيأتي في أحـــداث السورة_ فأراد الله تعـــالى أن ينبههم إلى أن هذه الغنائم هي عَرَضٌ دنيـــوي زائل، والإختلاف عليها اختلاف دنيوي، والله تعالى يريد أن يُرسِّخَ في قلوبهم قوانين النَّصر بعيداً عن الدنيا وزخرفها، والأنفال قضية فرعية، أما القضية الأساسية فهي تقوى الله المتمثلة في طاعته وطاعة رسوله والتراحم والتكافل وإصلاح ذات البين وعدم التنازع ... وما إلى ذلك مما يحبه الله ويرضاه؛ لذا فإن السورة ابتدأت بالسؤال عن الأنفال في الآية الأُولى M ! " # % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6L [١٥] فكان الجواب في غاية الإيجاز: أنها لله، ورسوله؛ ولكن الأهم في هذه المسألة أنه عليكم بتقوى الله فهو الذي أيَّدكم بنصر من عنده.

ترتيبها في السور:

سورة الأنفال من السور المدنية، وهي السورة الثالثة نُزولاً بالمدينة بعد الفاتحة والبقرة[١٦]. وعدد آياتها خمس وسبعون آية وتُعَدُ الثَّامنة في ترتيب المصحف الشريف، بعد الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف. وتليها مباشرة سورة التوبة؛ إلَّا أنه لم يُكتب بين السورتين البسملة؛ فاستشكل ذلك على الصحابة هل هما سورة واحد أم لا!!. يقول الإمام السيوطي[١٧]: (إن وضع هذه السورة وبراءة هنا ليس بتوقيف من الرسول _صلى الله عليه وسلم_ والصحابة، كما هو الراجح في سائر السور، بل اجتهاد من عثمان _رضي الله عنه_ وقد استشكل ابن عباس _رضي الله عنه_ قديماً ذلك، قال قلت لعثمان: ما حملكم على أن عمدتم إلى الأنفال وهي من المثاني وإلى براءة وهي من المئين، فقرنتم بينهما، ولم تكتبوا بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتموها في السبع الطوال؟ فقال عثمان: كان رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ينزل عليه السور ذوات العدد، فكان إذا نزل عليه الشئ دعا بعض من كان يكتب، فيقول: ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يُذكر فيها كذا وكذا، وكانت الأنفال من أوائل ما نزل، وكانت براءة من آخر القرآن نزولاً، وكانت قصتها شبيهة بقصتها، فظننت أنها منها، فَقُبِضَ رسول الله _صلى الله عليه وسلم_ ولم يبيِّن لنا أنها منها؛ فمن أجل ذلك قَرَنْتُ بينهما، ولم أكتب بينهما سطر بسم الله الرحمن الرحيم، ووضعتها في السبع الطوال)[١٨].

بعض ملامح السورة:

في المعاني والبيان. رسالة في الأنس والآفاق. المصباح في شرح المفتاح للسكاكي. مقدمة في الصرف فارسي وغير لك. أُنظر هدية العارفين للباباني: (٣٨٧/١).

(١١) الجرجاني، علي بن محمد (١٤٠٥هـ)التعريفات، الطبعة الأولى،ج١ تحقيق: إبراهيم الأبياري ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ص٣١٤.

(١٢) الطبراني ، أبوالقاسم سليمان (١٤١٥هـ)المعجم الأوسط، ط١٩، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين،القاهرة، ص٣٨٦.

(١٣) الزحيلي، وهبة بن مصطفى (١٤١٨هـ) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ج٩، ط٢ ، دار الفكر المعاصر، دمشق، ص٢٣٦.

(١٤) الطبري ، ابن جرير (١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م)جامع البيان في تأويل القرآن، ج٣، ط١، تحقيق: أحمد محمد شاكر ، مؤسسة الرسالة، ص٣٧٠.

(١٥) سورة الأنفال ، الآية (١)

(١٦)الزهري، ابن شهاب(١٩٨٠م) تنزيل القرآن،ط٢، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد دار الكتاب الحديث، بيروت ص ٢٩.

(١٧) السيوطي: هو عبد الرحمن بن كمال الدين أبي بكر ابن محمد بن سابق الدين بن فخر الدين عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر الخضيري الإمام جلال الدين الأسيوطي المصري الشافعي ولد سنة ٨٠٩هـ، وتوفي في التاسع من جمادى الأولى لسنة ٩١١ه. صنف من الكتب: أبواب السعادة في أسباب الشهادة.الابتهاج في مشكل المنهاج. الإتقان في علوم القرآن. إتمام الدراية لقراء النقابة. انظر ، الباباني ، اسماعيل البغدادي ، (١٣٥٥هـ)هدية العارفين، ج١، استانبول ، ص٢٧٨.

(١٨) السيوطي، جلال الدين (د.ت) أسرار ترتيب القرآن، ج١، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا دار الاعتصام ، القاهرة، ص ٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

جاء في "ظلال القرآن" إن السورة في مجملها عبارة عن: (بيان حكم الله في الأنفال، بعد ما أثير بين أهل بدر من الجدال حول تقسيمها. فردهم الله إلى حكمه فيها؛ كما ردَّهم إلى تقواه وطاعته وطاعة رسوله؛ واستجاش في قلوبهم وجدان الإيمان والتقوى، ثم أخذ يُذَكِّرهم بما أرادوه لأنفسهم من العير والغنيمة، وما أراده الله لهم من النَّصر والعزَّة . وكيف سارت المعركة، وهم قلَّة لا عدد لهم ولا عُدَّة، وأعداؤهم كثرة في الرجال والعتاد. وكيف ثبَّتهم بمدد من الملائكة، وبالمطر يستقون منه ويغتسلون ويثبِّت الأرض تحت أقدامهم فلا تسوخ في الرمال، وبالنُّعاس يغشاهم فيسكب عليهم السكينة والإطمئنان، وكيف ألقى في قلوب أعدائهم الرُّعب وأنزل بهم شديد العقاب، ومن ثم يأمر المؤمنين أن يثبتوا في كل قتال، مهما خُيِّلَ إليهم في أوَّل الأمر من قوَّة أعدائهم، فإن الله هو الذي يقتل، وهو الذي يرمي، وهو الذي يدبِّر، وإن هم إلَّا ستار لقدر الله وقدرته، يفعل بهم ما يشاء. ثم يسخر من المشركين الذين كانوا قبل الموقعة يستفتحون، فيطلبون أن تدور الدائرة على أضلِّ الفريقين وأقطعهما للرحم، فيقول لهم: M L E D C B A L[19]. ويُحَذِّرَ المؤمنين أن يتشبهوا بالمنافقين الذين يسمعون ولكنهم لا يسمعون، لأنهم لا يستجيبون)[20].

وبين جنبات أحداث السورة جاءت النداءات الإلهية للمؤمنين ست مرات: بوصف الإيمان {يا أَيُّهَا الذين ءامنوا} تحفيزاً لهم على الصبر والثَّبات في مجاهدتهم لأعداء الله، وتذكيراً لهم بأن هذه التكاليف التي أُمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به، وأن النَّصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال. أما النداء الأول: فقد جاء فيه التحذير من الفرار من المعركة، حيث قال تعالى: M © ¬ « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L[21]، وقد تَوَعَّدَتِ الآيات المنهزمين أمام الأعداء بأشدِّ العذاب. وأما النداء الثاني: فقد جاء فيه الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وذلك في قوله جلَّ وعلا: M \ ] ^ _ ` a b c d e f L[22]، كما صوَّرت الآيات الكافرين بالأنعام السارحة التي لا تسمع ولا تعي ولا تستجيب لدعوة الحق. والنداء الثالث: بيَّن فيه أن ما يدعوهم إليه الرسول فيه حياتهم وعزَّتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة: قال سبحانه M » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ L[23]. وأما النداء الرابع: فقد نبَّههم فيه إلى أنَّ إفشاء سر الأُمة للأعداء خيانة لله ولرسوله وخيانة للأمة أيضاً: M 5 6 7 8 9 : ; < = > L[24]. وأما النداء الخامس: فقد لفت نظرهم فيه إلى ثمرة التقوى، وذكَّرهم بأنها أساس الخير كلّه، وأن من أعظم ثمرات التقوى ذلك النُّور الرباني، الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، وبه يفرِّق بين الرُّشد والغيِّ، والهدى والضَّلال، قال تعالى: M L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ L[25]. وأما النداء السادس: وهو النداء الآخير فقد وضَّح لهم فيه طريق العزَّة، وأُسس النَّصر؛ وذلك بالثَّبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، واستحضار عظمة الله التي لا تُحد، وقوَّته التي لا تقهر، والإعتصام بالمدد الروحي الذي يعينهم على الثَّبات؛ ألا وهو ذكر الله كثيراً، قال سبحانه: M « ¼ ½ ¾ لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ L[26]. وقد ختمت السورة الكريمة ببيان الولاية الكاملة بين المؤمنين، وأنه مهما تناءت ديارهم، واختلفت أجناسهم، فهم أُمة واحدة، وعليهم نصر الذين يستنصرونهم في الدين، كما أن ملَّة الكفر أيضاً واحدة، وبين الكافرين ولاية قائمة على أُسس البغيِّ والضَّلال، وأنه لا ولاية بين المؤمنين والكافرين: M { | } ~ بَعْضٍ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © L[27]. ولعلَّ هذا ما أشارت إليه السورة الكريمة من

(١٩) سورة الأنفال، الآية (١٩).
(٢٠) سيد قطب (١٩٩٢م) في ظلال القران ،ج٣، ط٩، دار الشروق، ص١٤٦٤-١٤٦٥.
(٢١) سورة الأنفال، الآية (١٥).
(٢٢) سورة الأنفال، الآية (٢٠).
(٢٣) سورة الأنفال، الآية (٢٤).
(٢٤) سورة الأنفال، الآية (٢٧).
(٢٥) سورة الأنفال، الآية (٢٩).
(٢٦) سورة الأنفال، الآية (٤٥).
(٢٧) سورة الأنفال، الآية (٧٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

أهداف، وما أرشدت إليه من دروس وعبر تربوية، يجب الوقوف عندها وإمعان النظر فيها لتَعُمَ الفائدة[٢٨].

المحور الثاني: المعاني التربوية في السورة

تزكية النفس:

لقد نزلت سورة الأنفال عقب غزوة بدر _مباشرةً_ إلَّا أن المولى سبحانه ابتدأها بسؤال الصحابة _رضوان الله عليهم_ عن الأنفال والمعلوم أن الأنفال كانت من آثار المعركة _أي: بعد انتهائها_ ثم بعد ذلك بدأ سبحانه في سرد تفاصيل المعركة.وقد ورد أن سبب نزول الآية الأُولى M ! " # $ % & ' ( ) L[٢٩]، هو اختلاف الصحابة حول الغنائم التي غنموها حينذاك وساءت أخلاقهم في ذلك، كما ورد[٣٠]، فكانت فاتحة السورة بمثابة التنبيه إلى تزكية النُّفوس بتقوى الله، وإصلاح ما بَدَرَ منهم، وإزالة ما علق بالنُّفوس من عرض دنيوي زائل.

ومن الإشارات التربوية كذلك، تذكير الله تعالى عباده المؤمنين بفضله وامتنانه عليهم. فبعد الفراغ من أحداث غزوة بدر، ذكَّر الله تعالى عباده المؤمنين الحال الذي كانوا قد عايشوه في بادئ الإسلام؛ حيث قال سبحانه وتعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L[٣١].

فالشدةُ بعد الرَّخاءِ والرَّخاءُ بعد الشدةِ هما اللَّذان يكشفان عن معادن النفوس وطبائع القلوب، ودرجة الغبش فيها والصفاء، ودرجة الهلع فيها والصبر، ودرجة الثقة فيها بالله أو القنوط ودرجة الإستسلام فيها لقدر الله أو البرم به والجموح[٣٢].

إن الله سبحانه وتعالى أراد أن يُذكِّرهم بأنهم كما صبروا ساعة كانوا أذلَّاء مستضعفين قلَّة لا حول لهم ولا قوَّة؛ فعليهم أن يشكروه سبحانه على ما أنعم به عليهم من تأييد ونصر؛ فالإبتلاء بالشدائد والمحن يكسر النفس وكبريائها، ويجعلها أكثر خضوعاً وافتقاراً لمليكها، والإبتلاء بالرَّخاء والنِّعم يجعل المؤمن أكثر حرصاً على وضع هذه النِّعم في المكان الذي يُرضي المنعم سبحانه وتعالى، ولعلَّ هذه قمة المراقبة للنفس، فلا تغتر _النفس_ وتبطر إذا ما أُنعِمَ عليها، ولا تيئس وتقنط إذا ما ضُيِّق عليها.

اللجوء إلى الله تعالى:

بالرغم من أن الله تعالى وعد المؤمنين قبل واقعة بدر إما العير أو النفير، وأفلتت العير ولم يبق غير النفير، إلَّا أن النبي _صلى الله عليه وسلم_ ظلَّ يناجي ربه ويدعوه ويقول: (اللهم هذه قريش قد أقبلت بخيلائها وفخرها تحادك وتكذب رسولك اللهم فنصرك الذي وعدتني اللهم أحنهم الغداة)[٣٣] ويلح في الدعاء وإلحاح النبي في الدعاء لا يدل على شكِّه _صلى الله عليه وسلم_ في وعد ربه له بقدر ما يدل على تربية المؤمنين على اللجوء إلى الله تعالى والإتصال به في كل الأحوال، حيث قال سبحانه وتعالى: M « ¼ ½ ¾ لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ L[٣٤].

الشجاعة والإقدام:

من المعاني التربوية التي نبهت إليها السورة تربية المؤمنين على الشجاعة بحيث لا يهابون مواجهة الأعداء، خاصَّة في ميدان القتال. بل حذَّرت السورة من التخاذل وعدم الثبات، قال تعالى:M © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ » ¼ ½ ¾ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ L[٣٥]. وقال سبحانه: M « ¼ ½ ¾ لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ L[٣٦]. يقول ابن كثير: (هذا تعليم من الله تعالى لعباده المؤمنين آداب اللقاء وطريق الشجاعة عند مواجهة الأعداء)[٣٧]، ويقول الشيخ الشعراوي: (أن الثبات هنا معناه المواجهة والشجاعة، لأن

(٢٨) الموسوعة الإسلامية المعاصرة، قسم التفسير :تفسير سورة الانفال، بتصرف/ Islam pedia.com

(٢٨) سورة الأنفال الآية (١).

(٣٠) الطبري ، جامع البيان في تأويل القرآن، ص٣٧٠، مرجع سابق.

(٣١) سورة الأنفال الآية (٢٦).

(٣٢) سنة الله في الابتلاء والتمحيص والتداول: فضيلة الشيخ/ سيد قطب. شبكة طريق القرآن. 13.7.2010 http://ahmedalbkrealansare.jeeran.com/16/archive/2008/12/750535.html

(٣٣) ابن هشام ، عبد الملك (١٤١١هـ)السيرة النبوية، ج٣، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت.ص١٦٨.

(٣٤) سورة الأنفال، الآية (٤٥).

(٣٥) سورة الأنفال الآية (١٥ ، ١٦)

(٣٦) سورة الأنفال الآية (٤٥).

(٣٧) ابن كثير ،اسماعيل بن عمر(١٩٩٤م) تفسير القرآن العظيم ، ج٢، تحقيق: محمود حسن دار الفكر، ص٣٨٥.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

الإنسان إذا ما كان ثابتاً في القتال، فالعدو يخشاه ويهابه، وإن لم يكن كذلك فسوف يضطر إلى النكوص، وهذا ما يُجريء الكفار عليكم. وما دمتم قد جئتم إلى القتال، فلا بدَّ أن يشهد الأعداء شجاعتكم؛ لأنكم إن فررتم فهذه شهادة ضعف ضدكم؛ ولذلك لابدَّ من التدريب على الثبات والقتال، وهذا هو الإعداد المسبق للحرب؛ بالتدريب القوي والتخطيط الدقيق، وألَّا يتولى أحد منكم ويفر لحظة الزحف لأن هذا العمل هو من أكبر - الكبائر)[٣٨].

قال تعالى: Mوَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ × هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ L[٣٩]. فالآية تقول إن مالَ العدو ولجأ إلى السِلم؛ إلَّا أن ذلك لا يحصل ما لم يدرك العدوة شجاعة المؤمنين وقوتهم؛ لذا فإن الله تعالى حثَّ المؤمنين على أن يكونوا شجعاناً؛ حتي لا يتجرأ العدو عليهم ويعبث بهم وبدينهم.

الصبر والمصابرة:

جاء في المعجم الوسيط، صَبَرَ بمعنى: (تَجَلَّدَ ولم يجزع وانتظر في هدوء واطمئنان ويقال صبر على الأمر احتمله)[٤٠]. ويُعرَّف الصبر كذلك بأنه: (ترك الشكوى من ألم البلوى لغير الله)[٤١]. والمصابرة: المغالبه في الصبر [٤٢]. فهاتان الصِّفتان مطلوبتان بشدَّة لترجيح كفة الإسلام في أرض المعركة، سيما وأن أصحاب هذه الصفات يكونون في معية الله تعالى _كما ستأتي الآيات_ ومن كان الله معه كان النصر بلا شك حليفه.

قال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / L[٤٣]. يقول الإمام القرطبي: (أمر _تعالى_ بالصبر، وهو محمود في كل المواطن وخاصة موطن الحرب)[٤٤]. والآيات التي تحثُّ على الصبر ومغالبة العدو فيه كثيرة جداً، منها على سبيل المثال قوله تبارك وتعالى: M X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! L[٤٥]، وقال تعالى: M ~ } | { z y x w v u t s r q p o n m l k j i h g f e d c b a ` _ ^] \ [Z Y X W V U T S R Q P O N M L K J I H G F E D C B A @ ? > = < ; : 9 8 7 6 5 4 3 2 1 0 / . - , + *) (' & % $ # " ! L[٤٦]، وقال سبحانه في موضع آخر: M ; < = > ? @ A B C D E F G H I J K L X W V U T S R Q P O N M L ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ L[٤٧] وقال تعالى: M ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ L[٤٨]. جاء في تفسير المنار: (المصابرة، والمرابطة، وهي الرباط بمعنى مباراة الأعداء، ومغالبتهم في الصبر)[٤٩]. وقد حثَّ النبي _صلى الله عليه وسلم_ على أهمية الصبر، فقال: (واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر)[٥٠].

الوحدة وعدم التنازع:

وحدة الصف من النِّعم التي امتن الله بها على نبيه _صلبى الله عليه وسلم_ حين قال سبحانه: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 4 5 6 7 8 9 : ; < = > ? @ L[٥١]، وامتن بها على عباده المؤمنين كذلك؛ فقال تبارك وتعالى: M H I J K L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g h i j k l m n o p q r s t u v w x y z { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © ª « ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ ¶ · ¸ ¹ º » ¼ ½ ¾ ¿ À Á Â Ã Ä Å Æ Ç È É Ê Ë Ì Í Î Ï Ð Ñ Ò Ó Ô Õ Ö × Ø Ù Ú Û Ü Ý Þ ß à á â ã ä å æ ç è é ê ë ì í î ï ð ñ ò ó ô õ ö ÷ ø ù ú û ü ý þ ÿ L[٥٢]، بل وحذَّر سبحانه وتعالى من التنازع والاختلاف، قال تعالى: M ! " # $

---

(٣٨) الشعراوي ، محمد متولي ، (د.ت) تفسير الشعراوي، ج٨،أخبار اليوم إدارة الكتب والمكتبات، ص٤٧١٩.

(٣٩) سورة الأنفال الآية (٦١).

(٤٠)إبراهيم مصطفى ، أحمد الزيات ، حامد عبد القادر، محمد النجار، المعجم الوسيط، ج١، تحقيق: مجمع اللغة العربية، دار الدعوة، ص٥٠٥.

(٤١) الجرجاني ،التعريفات، مرجع سابق، ص ١٧٢.

(٤٢) المعجم الوسيط، مرجع سابق.ص٥٠٦.

(٤٣) سورة الأنفال الآية (٤٦).

(٤٤) القرطبي، أبي عبد الله،(١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م) الجامع لأحكام القرآن،ج٨، ط٢ تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية،القاهرة، ص٢٥.

(٤٥) سورة الأنفال، الآية (٦٥).

(٤٦) سورة الأنفال، الآية (٦٦).

(٤٧) سورة آل عمران، الآية (١٢٤ ، ١٢٥).

(٤٨) سورة آل عمران، الآية (٢٠٠).

(٤٩) رضا، محمد رشيد، (١٩٩٠م) تفسير المنار، ج٤، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ص٢٦١.

(٥٠) ابن حنبل، احمد بن حنبل ،(١٤٢١هـ - ٢٠٠١م،) مسند الإمام أحمد: ما جاء في مسند عبد الله بن عباس، ج٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، مؤسسة قرطبة ، القاهرة، ص١٩.

(٥١) سورة الأنفال، الآية (٦٢ ، ٦٣).

(٥٢) سورة آل عمران، الآية (١٠٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

% & ' ( ) L[٥٣]. وقال أيضاً: M * + , - . L[٥٤]. ففي الإتحاد قوَّة، وفي التنازع ضعف وهوان، وبهما يحصُل الفشل وتتبدل القوَّة إلى ضعف؛ لذا كان في قوله سبحانه: M $ % & ' ( ) L[٥٥] دلالة واضحة على أن الوحدة وترك المنازعة من الأسباب البالغة الأهمية في طريق النصر.

الولاء والبراء:

الموالاةُ: (أن يتشاجر اثنان فيدخل ثالث بينهما للصُّلح ويكون له في أحدهما هَوىً فيواليه أو يُحابيه. و والى فلان فلاناً إذا أحبَّه)[٥٦]، ويعرف العلماء البراء بأنه: (البُعد والخلاص والعداوة بعد الإعذار والإنذار)[٥٧]. أو هو: (بُغْضُ الطواغيت التي تُعبَدُ من دون الله تعالى _من الأصنام الماديّة والمعنويّة: كالأهواء والآراء وبُغْضُ الكفر _بجميع مِلَلِهِ_ وأتباعه الكافرين، ومعاداة ذلك كُلِّه)[٥٨]. قال تعالى: M J K L N O P Q R S T U V W X Y Z [\ ] ^ _ ` a b c d e f g i j k l m n o p q r s t v w x y z { | } ~ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ بَعْضٍ © L[٥٩].

الآيات توضح ما ينبغي أن يكون عليه المؤمنون من نصرة وتحابب وتراحم فيما بينهم، كما أن الكفار يميل بعضهم لبعض وينصر بعضهم بعضاً. بل تحذِّر الآية من موالاة أهل الكفر وتدعو للتبرؤ منهم.

يقول ابن كثير في الآيات السابقة: (إن لم تجانبوا المشركين وتوالوا المؤمنين؛ وإلَّا وقعت الفتنة في الناس، وهو التباس الأمر، واختلاط المؤمن بالكافر، فيقع بين الناس فساد منتشر طويل عريض)[٦٠].

فالمؤمنون من أوَّل الخليقة إلى آخرها مهما تباعدت أوطانهم وامتدت أزمانهم إخوة متحابون يقتدي آخرهم بأولهم ويدعو بعضهم لبعض ويستغفر بعضهم لبعض[٦١].

إذن فالولاء والبراء من الأُسس التربوية المهمة التي يجب على المؤمنين أن يتربوا عليها؛ حتى يكونوا يداً واحدة؛ يوالي بعضهم بعضاً؛ متكاتفين متعاطفين متراحمين فيما بينهم، أشداء غلظاء على أعدائهم. تجمعهم (لا إله إلَّا الله محمد رسول الله) لا القبيلة ولا النَّسب ولا شيء سوى الإسلام. وقد ظهر ذلك جليَّاً في أحداث غزوة بدر؛ بل كان سبباً من أسباب النصر؛ لأنه لا اتحاد دون ولَاء، كما لا يتحقق الإيمان بدونه. فإن لم يوالي بعضهم البعض؛ حدث الفساد الذي حذَّرَ الله منه؛ لذا كان (الولاء والبراء) من الأُسس التربوية التي يجب على المسلمين أن يُعيروها عظيم الإهتمام، وألَّا يغفلوا عنها.

تتبع السنن الربانية:

إن من سنن الله تعالى في خلقه مداولة الأيام بينهم من نصر إلى هزيمة ومن هزيمة إلى نصر ومن دعة إلى شدَّة ومن شدَّة إلى دعة ومن انحطاط إلى سمو ومن سمو إلى انحطاط وهكذا، حيث يقول تبارك وتعالى: M ¨ § ¦ © مَسَّ » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ L[٦٢]، فمداولة الأيام بين الناس لها ارتباط بالتَّغير النفسي كما قال تعالى: M | { ~ يُغَيِّرُمَا ¢ £ ¤ ¥ ¦ L[٦٣]. وقال تعالى: M ! " # $ % & ' ( ) * + , - . / 0 1 2 3 L[٦٤].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا: (إن نِعَمَ الله تعالى على الأقوام والأُمم منوطة ابتداءً ودواماً بأخلاق وصفات وعقائد وعوائد وأعمال تقتضيها، فما دامت هذه الشئون لاصقة بأنفسهم متمكنة منها كانت تلك النِّعم ثابتة بثباتها، ولم يكن الربّ الكريم لينتزعها منهم انتزاعاً بغير ظلم منهم ولا ذنب، فإذا هم غيروا

(٥٣) سورة الأنفال، الآية (٤٦).
(٥٤) سورة الأنفال، الآية (١).
(٥٥) سورة الأنفال، الآية (٤٦).
(٥٦)ابن منظور، جمال الدين محمد بن مكرم (١٣٠٢هـ-١٨٨٥م) لسان العرب،، ط١، ج١٥، دار صادر، بيروت، ص٥٠٤.
(٥٧)القحطاني، محمد بن سعيد، الولاء والبراء،المكتبة التوفيقية للطباعة ، مصر، ص٧٠.
(٥٨)حاتم بن عارف بن ناصر الشريف،الولاء والبراء بين السماحة والغلو، مرجع سابق، ص (٤).
(٥٩) سورة الأنفال، الآية (٧٢ ، ٧٣).
(٦٠) ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم، مرجع سابق ، ص٩٨
(٦١) الفوزان، صالح، الولاء والبراء في الإسلام، دارالوطن للنشر،الرياض، ص٦.
(٦٢) سورة آل عمران، الآية (١٤٠).
(٦٣) سورة الرعد، الآية (١١).
(٦٤) سورة الأنفال، الآية (٥٣).

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

ما بأنفسهم من تلك العقائد والأخلاق، وما يترتب عليها من محاسن الأعمال، غيَّر الله عندئذ ما بأنفسهم، وسلب نعمته منهم، فصار الغنيُّ فقيراً، والعزيز ذليلاً، والقويُّ ضعيفاً. هذا هو الأصل المطَّرد في الأقوام والأُمم)[٦٥].

إذن سُنَّةُ الله تعالى هي طريقته في معاملة خلقه وفقاً لسلوكهم ومعتقداتهم في مدبِّر هذا الكون وفي رسله الكرام، وما يترتب على هذه المعتقدات والسلوك والأفعال من نتائج في الدنيا والآخرة، فهي بمثابة القواعد والأُسس التي يجب اتباعها والإيمان بها؛ أُنظر لقوله تعالى: M L O N M[٦٦]، جاء في تفسير المنار: (إن تعودوا إلى مقاتلة النبي نَعُدْ لما رأيتم من الفتح له عليكم حتى يجيء الفتح الأعظم الذي يُذَلُ فيه شرككم، وتدول الدولة للمؤمنين عليهم)[٦٧]؛ فالسُنَّة أو القاعدة الكونية هنا: إن تعودوا إلى غيِّكم وفساد معتقدكم وسوء سلوككم؛ نَعُد لإذلالكم وكسر شوكتكم. فهذه سنن التي يجب على المؤمنين أن يمعنوا النظر فيها ويدركوها ويؤمنوا بها ويتتبعوها حتى يظفروا بنصر الله الذي وعد به عبادة المتبعين لسننه تعالى.

أهمية تقوى الله تعالى:

قال الإمام علي _كرم الله وجهه_ التقوى هي: (الخوف من الجليل، والعمل بالتنزيل، والقناعة بالقليل، والإستعداد ليوم الرحيل)[٦٨].

وقال طلق بن حبيب[٦٩] التقوى هي: (أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله وأن تترك معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله)[٧٠]. وقيل: (هي امتثال المأمورات واجتناب المنهيات وسُمِّيت بذلك لأنها تَقِي العبد من النار)[٧١].

يظهر الاهتمام بجانب التقوى في أوَّل آية من آيات السورة؛ وذلك في أمر ربنا _تبارك وتعالى_ لعباده المؤمنين حينما اختلفوا في شأن الغنائم، وساءت فيه أخلاقهم على نحو ما جاء عن عبادة بن الصامت _رضوان الله عليه وعليهم أجمعين_، حيث قال سبحانه: M ! " # %| & ' (| * + , - . | 0 1 2 3 4 5 L[٧٢]. ويَذْكُرُ سبحانه وتعالى بين طيَّات السورة بعض الثمرات التي من شأن المؤمن أن يجنيها إذا ما اتقى ربه تبارك تعالى، حيث قال سبحانه: M L M N O P Q R S T U V W X Y |[\ L[٧٣]. يقول ابن السعدي: (امتثال العبد لتقوى ربه عنوان السعادة، وعلامة الفلاح، وقد رتَّبَ اللّه على التقوى من خير الدنيا والآخرة شيئاً كثيراً، فذكر هنا أن من اتقى الله حصل له أربعة أشياء، كل واحد منها خير من الدنيا وما فيها: الأول: الفرقان: وهو العلم والهدى الذي يفرق به صاحبه بين الهدى والضَّلال، والحقِّ والباطل، والحلال والحرام، وأهل السعادة من أهل الشقاوة. الثاني والثالث: تكفير السيئات، ومغفرة الذنوب،وكل واحد منهما داخل في الآخر عند الإطلاق وعند الإجتماع يفسر تكفير السيئات بالذنوب الصغائر، ومغفرة الذنوب بتكفير الكبائر. الرابع: الأجر العظيم والثواب الجزيل لمن اتقاه وآثر رضاه على هوى نفسه)[٧٤].

وبمفهوم أن تقوى الله هي امتثال أوامره واجتناب ما نهى عنه؛ يبدو الاهتمام بجانب تقوى الله أكثر وضوحاً في النداءات الست _التي وردت في السورة_ من قبل ربنا تبارك وتعالى لعباده المؤمنين، تحفيزاً لهم على الصبر والثَّبات في مجاهدتهم لأعداء الله، وتذكيراً لهم بأن هذه التكاليف التي أُمروا بها من مقتضيات الإيمان الذي تحلوا به، وأن النَّصر الذي حازوا عليه كان بسبب الإيمان لا بكثرة السلاح والرجال. أما النداء الأول: فقد جاء فيه التحذير من الفرار من المعركة، حيث قال تعالى: M © ألَّذِينَ » ¬ ® ¯ ° ± 2 3

(٦٥) رضا، تفسير المنار، ج١٠ مرجع سابق، ص٣٣.

(٦٦) سورة الأنفال، الآية (١٩).

(٦٧) رضا، تفسير المنار، ج٩، مرجع سابق، ص٥١٩.

(٦٨) الصلابي، علي محمد(١٤٢٦هـ) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب،ج١، ط١، تحقيق: مجموعة محققين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة ، ص٣٤٨.

(٦٩) هو: طلق بن حبيب العنزي. بصري، زاهد كبير، من العلماء العاملين. حدث عن: ابن عباس، وابن الزبير، وجندب بن سفيان، وجابر بن عبد الله، والأحنف بن قيس، وأنس بن مالك، وعدة. روى عنه: منصور، والأعمش، وسليمان التيمي، وعوف الأعرابي، ومصعب بن شيبة، وجماعة. وكان طيب الصوت بالقرآن، برا بوالديه. روي عن طاووس، قال: ما رأيت أحداً أحسن صوتاً منه، وكان ممن يخشى الله تعالى. أنظر سير أعلام النبلاء، للذهبي:(٦٠٢/٤).

(٧٠) الحنبلي، ابن رجب(١٤٠٨هـ) جامع العلوم والحكم، ط١، دار المعرفة، بيروت، ص١٥٩

(٧١) الزحيلي، التفسير المنير، ج٩ ، مرجع سابق، ص٣٠٠.

(٧٢) سورة الأنفال، الآية (١).

(٧٣) سورة الأنفال، الآية (٢٩).

(٧٤) ابن السعدي،عبد الرحمن بن ناصر(١٤٢٠هـ -٢٠٠٠م) تيسير الكريم الرحمن، تحقيق: عبد الرحمن بن معلا اللويحق مؤسسة الرسالة، ص ٣١٩.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

´ L[٧٥]، وقد تَوَعَّدَتِ الآيات المنهزمين أمام الأعداء بأَشَدِّ العذاب. وأما النداء الثاني: فقد جاء فيه الأمر بالسمع والطاعة لأمر الله وأمر رسوله، وذلك في قوله جلَّ وعلا:

M \ [ ] ^ _ ` a b c d e

f L[٧٦]، كما صوَّرت الآيات الكافرين بالأنعام السارحة التي لا تسمع ولا تعي ولا تستجيب لدعوة الحق. والنداء الثالث: بيّن فيه أن ما يدعوهم إليه الرسول فيه حياتهم وعزَّتهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة: قال سبحانه M » ¬ ® ¯ ° ± ² ³ ´ µ L[٧٧]. وأما النداء الرابع: فقد نبَّههم فيه إلى أنَّ إفشاء سر الأُمة للأعداء خيانة لله ولرسوله وخيانة للأمة أيضاً: M 5 6 7 8 9 : ; < = > ? L[٧٨]. وأما النداء الخامس: فقد لفت نظرهم فيه إلى ثمرة التقوى، وذكَّرهم بأنها أساس الخير كلّه، وأن من أعظم ثمرات التقوى ذلك النُّور الرباني، الذي يقذفه الله في قلب المؤمن، وبه يفرِّق بين الرُّشد والغيِّ، والهدى والضَّلال، قال تعالى:M L M N O P Q R S T U V W X Y Z [\ L[٧٩]. وأما النداء السادس: وهو النداء الأخير فقد وضَّح لهم فيه طريق العزَّة، وأُسس النَّصر؛ وذلك بالثَّبات أمام الأعداء، والصبر عند اللقاء، واستحضار عظمة الله التي لا تُحد، وقوَّته التي لا تقهر، والإعتصام بالمدد الروحي الذي يعينهم على الثَّبات؛ ألا وهو ذكر الله كثيراً، قال سبحانه: M » ¼ ½ ¾ ¿ لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ L[٨٠]. وقد ختمت السورة الكريمة ببيان الولاية الكاملة بين المؤمنين، وأنه مهما تناءت ديارهم، واختلفت أجناسهم، فهم أُمة واحدة، وعليهم نصر الذين يستنصرونهم في الدين، كما أن ملَّة الكفر أيضاً واحدة، وبين الكافرين ولاية قائمة على أُسس البغيِّ والضَّلال، وأنه لا ولاية بين المؤمنين والكافرين: M { | } ~ ¡ ¢ £ ¤ ¥ ¦ § ¨ © L[٨١]. ولعلَّ هذا ما أشارت إليه النداءات الست من أهداف، وما أرشدت إليه من دروس وعبر تربوية، يجب الوقوف عندها وإمعان النظر فيها لِتَعُمَ الفائدة[٨٢]. ولا شكَّ أن هذه النداءات لم تأتي عبثاً؛ وإنما لما فيها للمؤمن من الفلاح في الدنيا والآخرة إذا ما تتبعها فامتثل ساعة الأمر وانتهى ساعة النَّهي؛ ابتغاء مرضات ربه، حينها يكون قد صار من المتقين. وحق له أن يجني ثمار التقوى في الدنيا قبل الآخرة من عزٍّ ونصر وتأييد وعون ومدد رباني.

الخاتمة

خلص الباحث من خلال هذه الدراسة إلى أن سورة الأنفال من السور التي أولت جانب التربية وتزكية النفس عظيم الإهتمام؛ وذلك لأهمية التربية في حياة الفرد والجماعة، فاهتمت السورة بتزكية النفوس وإزالة ما علق بها من شوائب وذلك بإصلاح ذات البين والتسامي فوق زخارف الدنيا ومتاعها، وموالاة المؤمنين وذلك بالتسامح والتناصر والتحابب ولعلَّ هذا من شأنه أن يوحد الأُمة ويباعد بينها والإنشقاق والتناحر، كما حثَّت السورة على التحلي بالشجاعة والصبر بل ومغالبة العدو في الصبر، ونبهت السورة إلى أهمية تقوى الله والعمل على مرضاته، واللجوء إليه؛ لأنه لا عزَّ ولا رفعة إلا بقوى الله والرغبة فيما عنده والتذلل لعظمته تبارك وتعالى.

النتائج:

١. سورة الأنفال من السور المدنية التي اعتنت بجانب التشريع، وبخاصة الجهاد؛ وذلك لنزولها عقب أحداث غزوة بدرٍ مباشرةً.
٢. اهتمت السورة بالجانب التربوي للمؤمنين، من طاعة الله ورسوله والإستجابة لهما، وعدم الخيانة، وتقوى الله، وعدم التنازع وإصلاح ذات البين والصبر.
٣. اهتمام السورة بتزكية النفوس والعمل على تطهيرها.
٤. ضرورة تربية المؤمنين على الشجاعة والإقدام وتعليمهم قواعد القتال الحربية التي ترهب العدو.
٥. نصر المؤمنين وعزّهم في وحدتهم وعدم تنازعهم.

(٧٥) سورة الأنفال، الآية (١٥).
(٧٦) سورة الأنفال، الآية (٢٠).
(٧٧) سورة الأنفال، الآية (٢٤).
(٧٨) سورة الأنفال، الآية (٢٧).
(٧٩) سورة الأنفال، الآية (٢٩).
(٨٠) سورة الأنفال، الآية (٤٥).
(٨١) سورة الأنفال، الآية: (٧٣).
(٨٢) الموسوعة الإسلامية المعاصرة ، مرجع سابق

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٦. تغيُّر أحوال الأُمم من الذُّل إلى العزَّة، ومن الضعف إلى القوَّة، منوط بتغيير ما في النَّفوس من عقائد فاسدة وأخلاق رذيلة.
٧. المسلمون أُمّة واحدة والولاية والتَّناصر بينهم واجب، والكافرون أُمّة واحدة، ولا ولاية بين المؤمنين والكافرين.
٨. التربية وفق منهج الله تعالى في كتابه الكريم؛ هي التي ترتقي بالأُمة الإسلامية وتسمو بها وتصنع الفارق بينها وسائر الأُمم.
٩. بتقوى الله ينصلح الحال في العاجل والآجل.

التوصيات:

١. يُوصي الباحث نفسه وإخوانه بتقوى الله تعالى. والعمل على طاعته وطاعة رسوله والاستجابة لهما، وعدم الخيانة، وعدم التنازع وإصلاح ذات البين والصبر.
٢. الملازمة التامَّة لكتاب الله تبارك وتعالى تلاوة وتدبراً ومتابعة.
٣. اتخاذ القرآن الكريم منهاجاً لكل أوجه الحياة، خاصَّة تربية النفس وتزكيتها.
٤. تعلم الأساليب التربوية من المنهج القرآني، الذي أُنزل للتربية وتزكية النفس، والعمل على تزكية النفوس وتطهيرها.
٥. ولا يفوت الباحث أن يُوصي المهتمين بالبحث في مجال القرآن وعلومه أن يصلحوا ما كان مني من ذلل، وأن يستخرجوا المعاني التربوية من القرآن الكريم التي من شأنها أن تهذب النفس وترتقي بالأُمة.

المصادر والمراجع

- **القرآن الكريم.**

١. الجوهري، إسماعيل بن حماد ،(١٩٩٠م)، الصِّحاح في اللغة، دار العلم للملايين، بيروت.
٢. الزمخشري، أبي القاسم محمود بن عمر، الكشاف، دار إحياء التراث العربي- بيروت.
٣. ابن فارس،(٢٠٠٢م)الزركلي خير الدين بن محمود بن محمد بن علي، كتاب الأعلام، دار العلم للملايين.
٤. الأصفهاني، أبي الفرج ، الأغاني، الطبعة الثانية تحقيق: سمير جابر الفكر -بيروت.
٥. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق (١٤١٣هـ،١٩٩٣م) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، الطبعة الأولى، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي دار الكتب العلمية – لبنان.
٦. الجرجاني، محمدعلي بن محمد بن علي(١٤٠٥هـ) التعريفات، الطبعة الأولى تحقيق: إبراهيم الأبياري. دار الكتاب العربي – بيروت.
٧. الطبراني،أبو القاسم سليمان(١٤١٥هـ). المعجم الأوسط، تحقيق: طارق بن عوض الله بن محمد، عبد المحسن بن إبراهيم الحسيني، دار الحرمين - القاهرة،
٨. الزحيلي، وهبة بن مصطفى،(١٤١٨هـ) ، التفسير المنير في العقيد والشريعة والمنهج، الطبعة الثانية ، دار الفكر المعاصر – دمشق.
٩. ابن جرير الطبري،(١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠م) جامع البيان في تأويل القرآن،الطبعة الأولى، تحقيق: أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة،
١٠. ابن شهاب الزهري، محمد بن مسلم(١٩٨٠م)، تنزيل القرآن الطبعة:الثانية، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، دار الكتاب الحديث - بيروت.
١١. الباباني ، اسماعيل البغدادي ، (١٣٥٥هـ)هدية العارفين، ج١ استانبول .
١٢. السيوطي،جلال الدين أسرار ترتيب القرآن، الناشر: دار الاعتصام – القاهرة، تحقيق: عبد القادر أحمد عطا.
١٣. سيد قطب، (١٩٩٢م)، في ظلال القران، دار الشروق.
١٤. الموسوعة الإسلامية المعاصرة / قسم التفسير :تفسير سورة الانفال بتصرف / Islam pedia.com.
١٥. سنة الله في الابتلاء والتمحيص والتداول: فضيلة الشيخ/ سيد قطب. شبكة طريق القرآن http://ahmedalbkrealansare.jeeran.com/16/archive/2008/12/750535.html.
١٦. ابن هشام،عبد الملك (١٤١١هـ)، السيرة النبوية، تحقيق: طه عبد الرءوف سعد، دار الجيل، بيروت.
١٧. ابن كثير، اسماعيل بن عمر(١٩٩٤م)، تفسير القرآن العظيم، تحقيق: محمود حسن،دار الفكر،بيروت
١٨. الشعراوي، محمد متولي، تفسير الشعراوي، أخبار اليوم إدارة الكتب والمكتبات.
١٩. القرطبي، أبي عبد الله (١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م)، الجامع لأحكام القرآن،ط٢، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش. دار الكتب المصرية – القاهرة.
٢٠. ابن حنبل ، أحمد، (١٤٢١هـ - ٢٠٠١م) مسند الإمام أحمد، ط١، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد ، وآخرون، مؤسسة الرسالة.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com

٢١. الفوزان، صالح، الولاء والبراء في الإسلام، دار الوطن للنشر – الرياض.
٢٢. رضا، محمد رشيد،(١٩٩٠م.) تفسير المنار لناشـــر: الهيئـــة المصرية العامة للكتاب.
٢٣. الصلابي، علي محمد،(١٤٢٦هـــ،) سيرة أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، الطبعة الاولى.
٢٤. الإمام الذهبي، سير أعلام النبلاء، تحقيق: مجموعة محققـــين بإشراف شعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة.
٢٥. الحنبلي، ابن رجب(١٤٠٨هـــ) ، جامع العلوم والحكم، الطبعة الأولى، دار المعرفة-بيروت.

PDF created with pdfFactory trial version www.pdffactory.com